تعقيب على مقال المؤرخ الاستاذ ابراهيم خليل العلاف

نبيل يونس دمان

بتاريخ 26- 8- 2020 نشر المؤرخ الموصلي المعروف د. ابراهيم العلاف مقالاً في العدد 7052 من جريدة الزمان العراقية، تظهر جودته من النظر الى عنوانه " مرقد النبي ناحوم في القوش التاريخية" وشدني اليه ايضاً اسلوبه البحثي الهادئ الذي أحسده ويحفزني للإقتداء به، ويربط ذلك بمصادره التي يعتمدها وكذلك تخصصه في التاريخ واهتمامه ببلدات وقرى محيط نينوى، تلك المدينة التي يرد ذكرها منذ القدم بالمدينة العظيمة في موقعها الجغرافي ومركزها الحضاري.

يتحدث الموضوع عن النبي ناحوم ووجود قبره في بلدة القوش قبل الميلاد بسبعمائة سنة، وكلمة ناحوم تعني المعزي وقد ولد لمسبي يهودي اسمه ألقون، فترعرع وتعلم فيها وهو قريب جداً من نينوى، ولذلك فان الاشارة الى مولده في الجليل الأعلى لا تمت الى الواقع بصلة ،فالقديس الروماني ايرونيموس ربما كانت افادته مقنعة في تلك الأزمنة والتي بنيت على اساس التخمين، وبعد مرور ازمان طويلة اخرى وصولاً الى القرن 19 الميلادي عندما اكتشف الاثاري الانكليزي لايارد اثار نينوى، بل قل كنوزها المطمورة التي ابهرت البشرية، ومما قاله" بما ان نبوآته – ناحوم النبي- كتب بعد جلاء الأسباط العشرة وتدور حول نينوى فالتقليد الذي يؤشر على ان القوش الآشورية المعتبرة محل وفاة النبي ناحوم له قيمته الخاصة" (1) .

ورد في المقال معنى كلمة القوش بأنها الإله قوشي (إيل- قشتي ܐܝܠ ܩܫܬܝ) ومن مصادرنا في تفسير المصطلح، هو من مقطعين إيل قُشتي التي تعني إلاهي قوسي اي قوتي (قوشتا – ܩܘܫܬܐ - بمعنى قوس ولآلة الحرب القديمة - قوس ونشاب- تسمى بالسريانية - قشتا وگيرا-) . وفسرت ايضا على نفس الاساس بانها مدينة الإله الكبير الجبار القوي وهو الإله سين (القمر) ، وهناك الى اليوم محلة باسمه محلة سينا (ܣܝܢܐ) وايضا هناك مجموعة من الاراضي الزراعية في عقار البلدة بإسم " بي سينا - ܒܝ ܣܝܢܐ- " .

في العصور الاسلامية لم تكن القوش خاملة، ففي القرن السابع الميلادي، عندما اسس الراهب هرمز القادم من بيت لاباط في بلاد فارس ديره في الجبل، ذاع صيته في عمل العجائب، سمع به حاكم الموصل عتبة بن فرقد الذي عينه الخليفة عمر بن الخطاب حاكما على الموصل عام 20 هجرية، وفي تلك الفترة مرض ابنه شيبني بشدة فجلبه الى القوش ثم الى وادي دير الربان هرمزد، في الطريق توفي وعندما وصل

اليه الراهب هرمزد في وادي الدير عمل معجزة في شفائه، فشكره الحاكم وأثنى على اعجوبته. هناك قصيدة في تاريخ الاديرة الشهيرة كتبها ايشوعياب الأربيلي ورد فيها:

ان عتبة امير الموصل: شيد للربان هرمزد ديرا بقرب صومعته في الجبل وأوقف له املاكاً وأراضي واسعة لسد احتياجات الدير (ومن هذه القصيدة نسخة خطية بمكتبة دير السيدة في القوش) (2) .

اما آخر بناية للمزار فانها تعود الى سنة 1796 كما هو مذكور في كتاب القوش عبر التاريخ لمؤلفه المطران يوسف بابانا. وكما ذكرتَ حضرة الدكتورعن تنبؤ النبي ناحوم بسقوط نينوى وقلتَ بحق (اودع نبوته الممتلئة سخطاً وغضباً الكتاب المقدس (العهد القديم) . صحيح جدا ما ذكرته وقد كتب احد مؤرخي القوش وهو الشماس ابريم عمّا موضوعاً ينتقد بشدة تلك اللغة الشديدة على اهل نينوى ومما قاله " ان ناحوم نبي غاضب على اشور بدليل نبوته حيث يبدأها في الفصل الثالث منها (ويل لمدينة الدماء الممتلئة بأسرها كذباً) " (3) .

لا نعرف التقليد في زيارة النبي ناحوم متى ابتدأ ولكن شهدت اجيال القوش السابقة زيارات اليهود من كل انحاء العراق اليه وحتى من تركيا وبلاد فارس وكانوا في كل ربيع الذي فيه يحل موسمه يأتون زرافات ووحدانا وهم بجمالهم وحاجيات الذهب تغطي بناتهم ونسائهم وهم يلبسون ازياء كل منطقة في زيها : زي الترك، زي الفرس، زي الاكراد ، زي العرب .... الخ وباغطية الرأس المختلفة سواء الرجال او النساء، يملؤون القوش فرحاً وسروراً، بعد ادائهم طقوسهم الدينية داخل ضريح النبي، يخرجون الى وادي كهف المياه (ڬيّه دمايا - ܟܝܐ ܕܡܝܐ) القريب وهم يهتفون " بالتوراه وبالنبي، نبي ناحوم القوشي" ثم يعقدون الدبكات التي يشاركهم فيها شباب وشابات القوش فكانت اجمل ايام وتستمر لمدة اسبوع قبل ان يعودوا الى اماكن معيشتهم ، وكانت اخر الزيارات المؤلمة في عام 1950 وآخر الراحلين الى دولة اسرائيل سادن المرقد موشي وزوجته سعيدة واولاده عزرا، ناجي، ملكية، زكية، سارة. فتكفلت المكان عائلة بيت كادو الى ما قبل عشرين سنة، وبعدها توالت المسؤولية عليه خصوصاً بيت سامي جعو شاجا وابنه نصير الذي يعيش الان في البيت المقابل للمزار الذي ما انقطعت وفود الزائرين اليه من مختلف انحاء العالم.

من اليمين اسطيفو هيلو مع صديقه عزرا ابن موشي سادن المرقد - 1945

بالنسبة لمناشدتك السؤولين في دائرة الآثار والتراث الى الاهتمام بمزار النبي ناحوم واخته سارة، تلك لعمري دعوة مخلصة وامنية طال انتظارها، اود الاشارة انه في عام 2018 شرعت حكومة الاقليم بترميم المزار والمجمع الآيل للسقوط بل انهارت اجزاء منه بفعل عوامل الطبيعة، والان نحن في نهاية عام 2021 انتهى العمل بداخله واضحى تحفة يسر الناظر وينتظر الإكمال من قبيل مد الكهراء والماء اليه، وتحسين الطريق اليه، وربما اقامت صروح اخرى خدمية منها موقف السيارات على الارض بجانبه المسماة قصيلا (فِي بَلَكْ) التي تعود ملكيتها لليهود.

قبر النبي ناحوم قبل الترميم وبعد الترميم

نحن مدينون لك بكل الاحترام استاذنا الكريم الدكتور ابراهيم خليل العلاف حبك الصادق لبلدتنا القوش، وما الكلمات التي ذكرتها في وصف المدينة الا الدليل القاطع على عمق ابحارك في هذا اليم المتلاطم، حتى اصبت كبد الحقيقة التي يفتقر اليها الكثيرون. ستدرس الاجيال الناشئة موروثها الحضاري لتتباهى به امام

شعوب الأرض قاطبة، عندما يستقر العراق وتسير القاطرة على السكة الصحيحة. إذا سمحت بالسؤال او التحدث قليلاً عن فترة الثلاثة اشهر التي قضيتها في القوش بين ظهراني اهلها.

انا مع المشرف على الترميم كاكا برهان- 2021

الهوامش:

(1) القوش عبر التاريخ- المطران يوسف بابانا- بغداد 1979- ص 25

(2) المصدر السابق- ص 83

(3) مجلة الثقافة– ديترويت- اذار 1989- ص 33

December 24, 2021